الشيخ ابو الفضل الوليد

بقلم نديم آل ناصر الدين

هو الياس بن عبدالله بن الياس بن فرح طعمه المعروف بابي الفضل الوليد . ولد في السنة الـ ١٨٨٩ للميلاد في قرنة الحمراء من قاطع المتن ، ودخل مدرسة القرية في السادسة من سنه ، وفي اواخر السنة الـ ١٨٩٩ للميلاد دخل مدرسة عينطوره ، فدرس فيها ثلاثة اعوام ، وكان بنجاحه واجتهاده من المتفوقين، وفي السنة الاخيرة ظهرت مقدرته السليقية في الانشاء .

وفي السنة الـ ١٩٠٣ للميلاد اكب على درس العربية في مدرسة الحكمة ، وكان قد برع في الافرنسية ، وفي ثلاثة اعوام اتم دروسه وكان من السباقين المبرزين ، وعاد الى البيت في صيف السنة الـ ١٩٠٥ للميلاد وعكف على التصنيف والتعريب ، فوضع عدة روايات تمثيلية .

وفي السنة الـ ١٩٠٨ للميلاد سافر الى اوروبة واميركة ، واستقر في برازيل اثنتي عشرة واصدر جريدته (الحمراء) في السنة الـ ١٩١٣ للميلاد الى السنة الـ ١٩١٧ للميلاد .

وفي نيسان من السنة الـ ١٩٢٢ للميلاد عاد الى وطنه ، وطبع في بيروت عدة مؤلفات ، وفي السنة الـ ١٩٢٥ للميلاد قابل جلالة الملك حسين في العقبة فاكرمه ومنحه لقب (شيخ) وهو ما يمنحه على الغالب العلماء المتضلعون ، وفي السنة الـ ١٩٢٩ للميلاد انتدبته لجنة من الاحرار لتمثيل لبنان في المؤتمر الشرقي في برلين ضد الاستعمار .

كان ابو الفضل الوليد من اعلام الادب والشعر والجهاد القلمي، امتلأ قلبه بحب العروبة منذ نعومة اظفاره فجرى على لسانه روائع من الشعر والنثر تقمصتها نفس ابية حرة تفجرت ثورة على العبودية والذل ، ومن المجمع عليه من نقاد الادب الثقات ان ابا الفضل الوليد كان احد فرسان الطليعة في الامة العربية الذين قوضوا بصرير اقلامهم معاقل الطغاة ، وايقظوا بشعل ادابهم هذه الامة التي طال عليها الهجوع تحت مطارق الاستعمار فافقدها كل مقومات السيادة ، ونشروا لها تحت كل سماء صور ماضيها الاغر ، يوم بسطت كفا على الشرق واخر على الغرب ، وفيهما مناور الحرية ومشاعل الحق .

ولابي الفضل الوليد ، فضلا عن علو كعبة في الادب والشعر ورسوخ قدمه في العلم ، وغلوه في الاخلاص لعروبته ، والحرص على محامدها والتغني بمفاخرها ، شمائل غر لا يملكها الا القلة من احرار العرب هي الصدق والوفاء والمروءة والحمية والامانة والانفة من العار ، وكان ابو الفضل الوليد كغيره من فحول الادب ، يرى من سجايا الادب الصميم، ان يتميز صاحبه بالرجولية الحق ، وقد تجلت رجولية ابي الفضل الوليد في منظومه ومنثوره ، فكان كلامه صواعق على رؤوس الظالمين ، واعاصير في وجوه الغاصبين .

وانهم ليظلمون ابا الفضل الوليد بما يتهمونه من كره لبنان والنبو عنه ، فان ابا الفضل الوليد على مغالاة في حب لبنان والمباهاة بايات جماله والاعتزاز بمآثر رجاله الاقدمين ، على انه ينكر على من ياخذون بافك المضللين ان تبلغ الغباوة منهم ان يصدقوا كون لبنان بريئا من العروبة وهو من العروبة على حد قوله ، لسانها وقلبها ووجهها .

روائع من شعره

قال ابو الفضل الوليد في عدوان ايطالية على ليبية ، ميميته المشهورة ، وفيها فضلا عن روحها العالية ، من بدائع الافنان الشعري ما يسترق السمع ويملك اللب ، منها :

عودتني البسمات في ليل الهوى ... واجها في ليل خطب مظلم
فلرب زهراء الجبين رعيتها ... شوقا الى لمعان هذا المبسم
ولرب حاملة صواعق خضتها ... ذودا عن الوطن الذي لم يرحم
هي نخوة عربية دمنا بها ... يغلي فنهزأ بالعدى واللوم
يا يوم (برقة) قد شفيت نفوسنا ... لما انقضضنا كالبزاة الحوم
والسهل ميد الجوانب والوغى ... رعد وغيم فوق موج مرتمي
والصخر تلهبه سنابك ضمر ... كمطارق الحداد فوق مضرم
حيث العجاجة والصوارم لمع ... فيها كثوب بالجين مسهم
فلقد ضربت لاجل عينك امملا ... ان تكرمي قلب المحب المكرم
ولقد ضربت لاجل ذكر جدودنا ... ليهز تربتهم صليل المخذم
ولقد ضربت لاجل عز بلادنا ... لاصون عرضا غاليا لم يثلم
ولقد ضربت لاجل نفس حرة ... جسمي بها مثل الاناء المفعم
ضربات بأس لو رأيت شرارها ... لظننته شعلا هوت من انجم
ثبت حبك بالدموع وانني ... لمثبت شرفي ومجدي بالدم
ابناء (رومة) كم فللنا جيشكم ... فعلت وراء البحر زأرة ضيغم
وعلى سهول بلادكم وجبالها ... رسخت حوافر خيلنا بالعندم
يا هند رفقا بالمحب افي الهوى ... صب لعمر ابيك لم يتالم
لا تنكري جلدي على وقع الظبى ... فلقد جسست جروح شهم مقدم
عودت جسمي ان يظل مجرحا ... ايكون رب السيف غير مكلم
يا حبذا الجرح الذي ضمدته ... بتوجع وتلطف وتبسم
او لست يا اخت المها عربية ... في الحرب لم تجزع ولم تتلثم
حكت الرجال بسالة فتعودت ... تجريد ابيض واعتلاء مطهم
فلقد رأيتك تضربين عداتنا ... بمشطب ينقض طوع منعم
والله انت ملاك خير بيننا ... يا حبذا حسنات هذا المعلم
فتاحة لجروحهم ضمادة ... لجروحنا سلمت يمينك فانعمي
فمن الجراح سليمة اجسادنا ... ومن اللحاظ قلوبنا لم تسلم

امثلة من نثره

جاء في مقاله (عروبة لبنان) قوله :

« ... وبرز فريق من اهل لبنان العريق في العربية يتبرأ من العروبة باغواء الاجانب فاصبح يكره ما احبه .

ما اكفر هذا الفريق بالنعمة ، وانفره من الحسنى ، ومن قبله فضل قوم موسى البصل في العبودية على المن في الحرية ، وقد علم ان الشرف والمجد تحت العباءة العربية ، وان حضارة العرب جعلت بغداد عاصمة اسيا ، وقرطبة عاصمة اوروبة ، والقاهرة عاصمة افريقية .

لا عتب ولا لوم والشعوبيون عقولهم كعيون الحسيرين . وما انكر

العرب الا من جهل لسانهم ومآثرهم ، ان الافرنج يعرفوننا عربا ، ولكن فئة منا لا تريد ان تعرف نفسها ، اليس هذا منتهى الضلالة والعناد ؛

ان لبنان عربي بدمه وطبعه ولسانه ، عربي باخلاقه وادابه وعاداته ، عربي بامثاله واشعاره واخباره واثاره ، عربي بقبوره وبيوته وصخره وترابه ، عربي باذكار ماضيه وامال اتيه ، فيه يرقد امراء العرب وابطالهم وشعراؤهم وعلماؤهم ، وعليه يرقب اعقابهم نجوما من ظلم الاحداث ، فليس للاجانب والخوارج الا الحرمان والخذلان » .

وجاء في مقاله (الاسماء اذكار) قوله :

« ... القاعدة الثابتة في الامم ان تعرف الجنسية من العلمية، اما هذه الامة فقد شذت بكل شيء حتى في التسمية ، هل اشد حمقا من عبود ومنة حين يسميان اولادهما شرل وشرلوت وهنري وهنريات ؟ فنسبة هنري الى عبود منكرة كلبسة الكمة الافرنجية على العباءة العربية ، ان بينهما تباينا وتافرا يدلان على السخافة والسماجة ، فالعياذ بالله من عمهان العقول والقلوب وغلاظة الاذان والاكباد .

المفتونون يحولون لفظ الاسماء المشتركة وهي اسماء الانبياء والقديسين فيجعلون بطرس (بيار) وحنا (جان) وطانيوس (انطوان) ويوسف (جوزاف) ويصغرونها على الطريقة الافرنجية لتصير الغباوة بلاهة ، فيزيدون الضليل ضلة والعليل علة ، فما اقبح التطرف من الذي يقصد التظرف ..

تسمع الوالدة تنادي ولدها يا (طوني) ويا (زوزو) وهما تصغيران لانطوان وجوزاف وما ذلك منها تصغير تحبب بل تصغير تكلف ، وبناديها يا (ماما) وهو يحلق لحيته او يفتل شاربه وقد بات علجا عنيفا ، لم هذا التحذلق والتخنث ، لان طانيوس ويوسف اسمان بلديان ولفظهما عربي فخجل به المتمدنون والمتمدنات ..

الام تقول (طوني) و (زوزو) دلالا ودلالة على ان فيهما رائحة افرنجية ، وتغضب من لفظة (امي) لظنها انها تكبر سنها ، وتسوءها كنيتا ام طانيوس وام يوسف بقدر ما يسرها كنيتا ام انطوان وام جوزاف ، وقد تابى الكنية لانها تشعر بالامومة والامومة تشعر بالكهولة هذه الحماقة سواء فيها الخواص والعوام لفساد الاداب والاخلاق.»

في ما تقدم امثلة من الشعر والنثر لصاحب الترجمة تدل على طهارة عرقه ونزاهة قصده وصدق جنانه وجم وفائه لامته وعروبته ، واثار ابي الفضل الوليد من الشعر والنثر لا تنزل بسوادها عن مقام الفحولة في الادب العربي ، فضلا عما تنقد به من روح البطولة وشعلة الايمان ، على ان اسلوبه اذا هبط احيانا عن المستوى الذي عرف به ابو الفضل الوليد ، فمجاراة لافهام العامة وهو ما طبع عليه رهط من كبار كتاب العرب متقدميهم ومتاخريهم في مجاراة افهام العامة .

وكان ابو الفضل الوليد على غاية الاعجاب ببني معروف الاوائل وعلو شمائلهم وله فيهم (المعروفية) و (الدرزية) من غرر الشعر و (تحية الاريحية) من بدائع النثر .

هذا ابو الفضل الوليد ، مارد من مردة الفكر ، وقائد من قادة الثورة الادبية العارمة ، سقط في السنة الـ ١٩٤١ للميلاد صريع الجهاد القلمي ، وهو يقذف المستعمرين بوابل حممه ويرميهم بمطر صواعقه ، هل تذكره قومه ، في هذه الحقبة ، ولو بانحناءة على ضريحه في (قرنة الحمراء) كلا .. لم يكن نصيبه بافضل من نصيب غيره من اعلام الادب وجبابرة الفكر في هذا الشرق من عناية قومهم وتذكرهم اياديهم على الامة ، على ان لهؤلاء على الدهر ، دون سواهم، مسارح النسور ومسابح العقبان .

نديم ال ناصر الدين

صدر حديثا :

أنا وسارتر والحياة ...

بقلم الكاتبة الوجودية الشهيرة

سيمون دو بوفوار

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

في هذا الكتاب الرائع تروي لنا الكاتبة الوجودية الكبيرة سيمون دوبوفوار قصتها مع الرجل الذي كان شريك حياتها ، من غير ان يكون زوجها ، جان‌بول سارتر . وهي من خلال ذلك تقص تلك المغامرة التي ادت الى انتصارها : كيف اصبحت كاتبة الى‌جانبه ، وكيف كانا وما يزالان يواجهان الحياة .

انها قصة عجيبة ، هذه التي تسردها هنا سيمون‌دوبوفوار لانها قصة عاطفة فذة قلما ربطت كائنين فوق هذه الارض بمثل هذا الرباط : رباط الحب الواعي‌الذي يوثقه تفاهم روحي وفكري ليس له في عمقه وصميميته مثيل . فبالرغم من ان سارتر يحب‌هنا ، كائنات اخرى ، من مثل « كميل » و« اولغا » فان ما يشده الى سميون دوبوفوار اعمق من ان‌تؤثر فيه اية علاقة خارجية وان ما يشدها اليه اوثق من ان توهنه الغيرة .. صحيح انها تغار ، وتعبر عن‌ذلك في صفحات رائعة،ولكن السعادة التي‌خلقها لقاؤها بسارتر منذ اللحظة الاولى ستظل ترفرف على حياتها مادامت على قيد الحياة . وهي واثقة كل الثقة من انها « لن يأتيها اية مصيبة من سارتر الا اذا مات قبلها .. » قصة رائعة ، عميقة ، مرهفة ، نابضة بالحياة ..

الثمن ٤ ليرات لبنانية او ما يعادلها

منشورات دار الاداب